الدنيا والآخرة ثار من قلبه بمعرفة الله حب الله وبمعرفة الآخرة شدة الرغبة فيها وبمعرفة الدنيا
الرغبة عنها ويصير أهم أموره ما يوصله إلى الله وينفعه في الآخرة فإذا غلبت هذه الإرادة على قلبه
صحت نيته في الأمور كلها فإن أكل مثلا أو اشتغل بقضاء الحاجة كان قصده منه الاستعانة على قطع
سلوك الآخرة وصحت نيته واندفع عنه كل محذور وكل غرور منشؤه تجاذب الأغراض والنزوع
للدنيا والجاه والمال فإن ذلك هو المفسد للنية ومادامت الدنيا أحب إليه من الآخرة وهوى نفسه
أحب إليه من رضا ربه ما يمكنه الخلاص من الغرور فإذا غلب حب الله على قلبه بمعرفته بالله وبمعرفة
الصادرة عن كمال عقله فيحتاج إلى المعنى الثالث وهو العلم بكيفية سلوك الطريق إلى الله والعلم
بما يقربه إلى الله وما يبعده عنه والعلم بآفات الطريق وغوائله وجميع ذلك قد أودعناه كتب
إحياء علوم الدين فيعرف من ربع العبادات شروط العبادات فيراعيها ويحذر آفاتها ومن
ربع العادات أسرار المعايش وما هو مضطر إليه فيأخذه بأدب الشرع وما هو مستغن
عنه فيعرض عنه ومن ربع المهلكات يعلم جميع الصفات المانعة في طريق الله فإن المانع
من الله هي الصفات المذمومة في الخلق فيعلم المذموم ويعلم طريق علاجه ويعلم من ربع المنجيات
الصفات المحمودة التي لا بد وأن توضع خلفا عن المذمومة بعد محوها فإذا أحاط بجميع ذلك
أمكنه الحذر من أنواع الغرور التي بيناها وأصل ذلك كله أن يغلب حب الله على القلب ويسقط
حب الدنيا منه حتى تقوى به الإرادة وتصح النية ولا يحصل ذلك إلا بالمعرفة التي ذكرناها
فإن قلت فإذا فعل جميع ذلك فما الذي يخاف عليه فأقول يخاف عليه أن يخدعه الشيطان
ويدعوه إلى نصح الخلق ونشر العلم ودعوة الناس إلى ما عرفه لله من دينه فإن المريد المخلص
إذا فرغ من تهذيب الأخلاق وراقب القلب حتى صفا من الكدورات واستوى على الصراط
المستقيم وصغرت الدنيا في عينه وتركها وانقطع طمعه عن الخلق فلم يلتفت إليهم ولم يبق له إلا
هم واحد وهو الله سبحانه والتلذذ بذكره ومناجاته والشوق إليه وقد عجز الشيطان عن
إغوائه من جهة الدنيا وشهوات النفس فلا يطمعه فيأتيه من جهة الدين ويدعوه إلى الرحمة
على خلق الله والشفقة على دينهم بالنصح لهم والدعاء إلى الله فينظر العبد بعين الرحمة إلى عبيده من
العبيد فيراهم حيارى في أمرهم سكارى في دينهم صما بكما عميا قد استولى عليهم المرض وهم لا

يشعرون وفقد الطبيب وأشرف الناس على الهلاك فغلب على قلبه الرحمة لهم وعنده حقيقة
المعرفة بما يهلكهم ويشقيهم وبما يسعدهم وهو يقدر على ذكرها من غير تعب
فكان مثله كرجل به داء عظيم لا يطاق ألمه ويسهر لذلك ليله ويقلق نهاره لا يأكل ولا يشرب ولا
يتحرك لشدة ضربان الألم فوجد له دواء عفوا صفوا من غير ثمن ولا تعب ولا مرارة فاستعمله
فبرئ وطاب نومه وهدأ بالليل ونام نهاره وأصاب لذة العافية بعد طول السقم ثم نظر إلى عدد كثير
من المسلمين وإذا بهم تلك العلة بعينها وقد طال سهرهم واشتد قلقهم وارتفع أنينهم فتذكر
أن دواءهم هو الذي يعرفه وأنه قادر على شفائهم بأيسر ما يكون فأخذته الرحمة والرقة
فلم يجد فسحة من نفسه في التراخي عن الاشتغال بعلاجهم فكذلك العبد المخلص بعد أن اهتدى
إلى الطريق وشفي من مرض القلب شاهد الخلق وقد مرضت قلوبهم وأعضل داؤهم وقرب
هلاكهم وشفاؤهم وسهل عليه دواؤهم فانبعث من ذات نفسه عزم جازم في الاشتغال بنصحهم
وحرضه الشيطان على ذلك رجاء أن يجد مجالا للفتنة فلما اشتغل به وجد الشيطان الفتنة
فسلك ودعاه إلى الرياسة دعاء خفيا أخفى من دبيب النمل لا يشعر به المريد فلم يزل ذلك
الدبيب في قلبه حتى دعاه إلى التصنع والتزين للخلق بتحسين الألفاظ والنغمات والحركات كان
والتصنع في الزي والهيئات فأقبل الناس إليه يعظمونه ويوقرونه أعظم من توقير الملوك إذ
رأوه شافيا لدائهم بمحض الشفقة والرحمة من غير طمع فصار أحب إليهم من آبائهم وأبنائهم بعم
فآثروه بأنفسهم وأموالهم وصاروا له كالخدم والعبيد فخدموه وقدموه في المحافل وحكموه
على الملوك والسلاطين فعند ذلك انتشر الطبع للطمع وارتاحت النفس وذاقت لذة يا لها
من لذة وأصابت شهوة من الدنيا يستحقر معها كل شهوة فكان قد ترك الدنيا فوقع في
أعظم لذاتها وعند ذلك وجد الشيطان فرصته وامتدت إلى قلبه يده فهو يستعمله في
كل ما يحفظ عليه تلك اللذة وأمارة انتشاء الطمع وركون النفس للشيطان أنه لو أخطأ في رد
عليه بين الخلق غضب فإذا أنكر على نفسه ما وجده من الغضب بادر الشيطان فخيل
إليه أن ذلك غضب لله لأنه إذا لم يحسن اعتقاد المريدين فيه انقطعوا عن طريق الله
فوقعوا في الغرور [illegible] إلا الوقيعة فيمن رد عليه فيقع في الغيبة المحظورة

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1